ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة

ذكر موت مؤيد الدولة وعود فخر الدولة إلى مملكته

في هذه السنة، في شعبان، توفي مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة بجرجان، وكانت علته الخوانيق، وقال له الصاحب بن عباد: لو عهدت إلى أحد. فقال: أنا في شغل عن هذا، ولم يعهد بالملك إلى أحد، وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة.

وجلس صمصام الدولة للعزاء ببغداد، فأتاه الطائع لله معزياً، فلقيه في طيارة، ولما مات مؤيد الدولة، تشاور أكابر دولته فيمن يقوم مقامه، فأشار الصاحب إسماعيل بن عباد بإعادة فخر الدولة إلى مملكته، إذ هو كبير البيت ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة، ولما فيه من آيات الإمارة والملك، فكتب إليه واستدعاه، وهو بنيسابور، وأرسل الصاحب إليه واستخلفه لنفسه، وأقام في الوقت خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس إلى قدوم فخر الدولة، فلما وصلت الأخبار إلى فخر الدولة، سار إلى جرجان فلقيه العسكر بالطاعة، وجلس في دست ملكي في رمضان بغير منة لأحد، فسبحان من إذا أراد أمراً كان.

ولما عاد إلى مملكته، قال له الصاحب: يا مولانا، قد بلغك الله وبلغني فيك ما أملته، ومن حقوق خدمتي لك، إجابتي إلى ترك الجندية، وملازمة داري، والتوفر على أمر الله. فقال: لا تقل هذا، فما أريد الملك إلا لك، ولا يستقيم لي أمر إلا بك، وإذا كرهت ملابسة الأمور، كرهتها أنا أيضاً وانصرفت. فقبل الأرض وقال: الأمر لك، فاستوزره وأكرمه، وعظمه وصدر/ عن رأيه في جليل الأمور وصغيرها، وسيرت الخلع من الخليفة إلى فخر الدولة والعهد، واتفق فخر الدولة وصمصام الدولة، فصارا يداً واحدة[1].

ج٧/١١٧/ط

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٥)، وذكره أيضاً في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٤٩)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٣).

ذكر عزل أبي العباس عن خراسان وولاية ابن سيمجور

لما عاد أبو العباس عن بخارى إلى نيسابور، كما ذكرناه، استوزر الأمير نوح عبد الله بن عزير، وكان ضداً لأبي الحسين العتبي وأبي العباس، فلما ولي الوزارة، بدأ بعزل أبي العباس عن خراسان، وإعادة أبي الحسن بن سيمجور إليها، فكتب من بخراسان من القواد إليه يسألونه أن يقرّ أبا العباس على عمله، فلم يجبهم إلى ذلك، فكتب أبو العباس إلى فخر الدولة بن بويه يستمده، فأمده بمال كثير وعسكر، فأقاموا بنيسابور، وأتاهم أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق معاضداً لهم على ابن سيمجور.

وكان أبو العباس حينئذٍ بمرو، فلما سمع أبو الحسن بن سيمجور وفائق بوصول عسكر فخر الدولة إلى نيسابور، قصدوهم فانحاز عسكر فخر الدولة وابن عبد الرزاق، وأقاموا ينتظرون أبا العباس، ونزل ابن سيمجور ومن معه بظاهر نيسابور، ووصل أبو العباس فيمن معه، واجتمع بعسكر الديلم، ونزل بالجانب الآخر، وجرى بينهم حروب عدة أيام، وتحصن ابن سيمجور بالبلد، وأنفذ فخر الدولة إلى أبي العباس عسكراً آخر أكثر من ألفي فارس، فلما رأى ابن سيمجور قوة أبي العباس، انحاز عن نيسابور، فسار عنها ليلاً، وتبعه عسكر أبي العباس، فغنموا كثيراً من أموالهم ودوابهم، واستولى أبو العباس على نيسابور، وراسل الأمير نوح بن منصور يستميله ويستعطفه، ولج ابن عزير في عزله، ووافقه على ذلك والدة الأمير نوح، وكانت تحكم في دولة ولدها، وكانوا يصدرون عن رأيها، فقال بعض أهل العصر في ذلك:

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وإمرة الصبيان

أما النساء فميلهن إلى الهوى ... وأخو الصبا يجري بغير عنان[1]

ذكر انهزام أبي العباس إلى جرجان ووفاته

لما انهزم ابن سيمجور، أقام أبو العباس بنيسابور يستعطف الأمير نوحاً ووزيره ابن عزير، وترك أتباع ابن سيمجور وإخراجه من خراسان، فتراجع إلى ابن سيمجور أصحابه المنهزمون، وعادت قوته وأتته الأمداد من بخارى، وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة ـ وهو بفارس ـ يستمده، فأمده بألفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة، فلما

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٣٠١، ٣٠٢).

كثف جمعه قصد أبا العباس، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً إلى آخر النهار، فانهزم أبو العباس وأصحابه، وأسر منهم جماعة كثيرة.

وقصد أبو العباس جرجان وبها فخر الدولة، فأكرمه وعظمه وترك له جرجان، ودهستان، وأستراباذ صافية له ولمن معه، وسار عنها إلى الري، وأرسل إليه من الأموال والآلات ما يجل عن الوصف، وأقام أبو العباس بجرجان هو وأصحابه، وجمع العساكر وسار نحو خراسان فلم يصل إليها، وعاد إلى جرجان وأقام بها ثلاث سنين، ثم وقع بها وباء شديد، ومات فيه كثير من أصحابه، ثم مات هو أيضاً، وكان موته سنة سبع وسبعين، وقيل: إنّه مات مسموماً.

وكان أصحابه قد أساؤوا السيرة مع أهل جرجان، فلما مات، ثار بهم أهلها ونهبوهم، وجرت بينهم وقعة عظيمة، أجلت عن هزيمة الجرجانية، وقتل منهم خلق كثير، وأحرقت دورهم، ونهبت أموالهم، وطلب مشايخهم الأمان فكفوا عنهم، وتفرق أصحابه، فسار أكثرهم إلى خراسان، واتصلوا بأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور، وكان حينئذٍ صاحب الجيش مكان أبيه، وكان/ والده قد توفي فجأة وهو يجامع بعض حظاياه، فمات على صدرها، فلما مات، قام بالأمر بعده ابنه أبو علي، واجتمع إخوته على طاعته، منهم أخوه أبو القاسم وغيره، فنازعه فائق الولاية، وسنذكر ذلك سنة ثلاث وثمانين عند ملك الترك بخارى، إن شاء الله تعالى.

ج٧/١١٨/ط

ذكر قتل أبي الفرج محمد بن عمران وملك أبي المعالي ابن أخيه الحسن

في هذه السنة، قتل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة، وولي أبو المعالي ابن أخيه الحسن.

وسبب قتله: أن أبا الفرج قدم الجماعة الذين ساعدوه على قتل أخيه، ووضع من حال مقدمي القواد، فجمعهم المظفر بن علي الحاجب ـ وهو: أكبر قواد أبيه عمران وأخيه الحسن ـ وحذرهم عاقبة أمرهم، فاجتمعوا على قتل أبي الفرج، فقتله المظفر وأجلس أبا المعالي مكانه وتولى تدبيره بنفسه، وقتل كل من كان يخافه من القواد، ولم يترك معه إلا من يثق به، وكان أبو المعالي صغيراً[1].

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٦)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٨٧، ٨٨).

ذكر استيلاء المظفر على البطيحة

لما طالت أيام علي المظفر بن علي الحاجب وقوي أمره، طمع في الاستقلال بأمر البطيحة، فوضع كتاباً عن لسان صمصام الدولة إليه، يتضمن التعويل عليه في ولاية البطيحة، وسلمه إلى ركابي غريب، وأمره أن يأتيه إذا كان القواد والأجناد عنده، ففعل ذلك وأتاه وعليه أثر الغبار، وسلم إليه الكتاب فقبله وفتحه، وقرأه بمحضر من الأجناد، وأجاب بالسمع والطاعة، وعزل أبا المعالي وجعله مع والدته، وأجرى عليهما جراية ثم أخرجهما إلى واسط، وكان يصلهما بما ينفقانه، واستبد بالأمر وأحسن السيرة، وعدل في الناس مدة.

ثم إنّه عهد إلى ابن أخته أبي الحسن علي بن نصر، الملقب: بمهذب الدولة، وكان يلقب حينئذٍ: بالأمير المختار، وبعده إلى أبي الحسن علي بن جعفر ـ وهو: ابن أخته الأخرى ـ وانقرض بيت عمران بن شاهين، وكذلك الدنيا دول، وما أشبه حاله بحال باذ، فإنه ملك وانتقل الملك إلى ابن أخته ممهد الدولة بن مروان[1].

ذكر عصيان محمد بن غانم

وفيها عصا محمد بن غانم البرزيكاني بناحية كوردر من أعمال قم على فخر الدولة، وأخذ بعض غلات السلطان، وامتنع بحصن الهفتجان، وجمع البرزيكاني إلى نفسه، فسارت إليه العساكر في شوّال لقتاله فهزمها، وأعيدت إليه من الري مرة أخرى فهزمها، فأرسل فخر الدولة إلى أبي النجم بدر بن حسنويه، ينكر ذلك عليه/ ويأمره بإصلاح الحال معه، ففعل وراسله، فاصطلحوا أول سنة أربع وسبعين، وبقي إلى سنة خمس وسبعين، فسار إليه جيش لفخر الدولة فقاتله، فأصابه طعنة وأخذ أسيراً، فمات من طعنته. ج٧/١١٩/ط

ذكر انتقال بعض صنهاجة من أفريقية إلى الأندلس وما فعلوه

في هذه السنة، انتقل أولاد زيري بن مناد ـ وهم: زاوي، وجلالة، وماكسن، إخوة بلكين ـ إلى الأندلس، وسبب ذلك: أنهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال على

(١) ذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٨٨ ـ ٩٠).

بلاد بينهم، فغلبهم حماد، فتوجهوا إلى طنجة ومنها إلى قرطبة، فأنزلهم محمد بن أبي عامر وسر بهم، وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم، وسألهم عن سبب انتقالهم، فأخبروه وقالوا له: إنما اخترناك على غيرك، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله. فاستحسن ذلك منهم، ووعدهم ووصلهم، فأقاموا أياماً ثم دخلوا عليه، وسألوه إتمام ما وعدهم به من الغزو، فقال: انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم، فقالوا: ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا، إلا الذين معنا من بني عمنا وصنهاجة ومواليناء فأعطاهم الخيل والسلاح والأموال، وبعث معهم دليلاً، وكان الطريق ضيقاً، فأتوا أرض جليقية فدخلوها ليلاً، وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة، وقتلوا كل من به، وقطعوا أشجاره، فلما أصبحوا، خرج جماعة عن البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم، فرجعوا وتسامع العدو، فركبوا في أثرهم، فلما أحسوا بذلك، كمنوا وراء ربوة، فلما جاوزهم العدو، خرجوا عليهم من ورائهم، وضربوا في ساقتهم وكبروا، فلما سمع العدو تكبيرهم، ظنوا أن العدد كثير، فانهزموا وتبعهم صنهاجة، فقتلوا خلقاً كثيراً، وغنموا[1] دوابهم وسلاحهم، وعادوا إلى قرطبة، فعظم ذلك عند ابن أبي عامر، ورأى من شجاعتهم ما لم يره من جند الأندلس، فأحسن إليهم وجعلهم بطانته.

ذكر غزو ابن أبي عامر إلى الفرنج بالأندلس

لما رأى أهل الأندلس فعل صنهاجة، حسدوهم ورغبوا في الجهاد، وقالوا للمنصور بن أبي عامر: لقد نشطنا هؤلاء للغزو. فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الأقطار وخرج إلى الجهاد، وكان رأى في منامه تلك الليالي، كأن رجلاً أعطاه الأسبراج، فأخذه من يده وأكل منه، فعبره على ابن أبي جمعة، فقال له: اخرج إلى بلد إليون، فإنك ستفتحها، فقال: من أين أخذت هذا؟ فقال: لأن الأسبراج يقال له في المشرق: الهليون، فملك الرؤيا قال لك: هاليون.

فخرج إليها ونازلها ـ وهي من أعظم مدائنهم ـ واستمد أهلها الفرنج، فأمدوهم بجيوش كثيرة، واقتتلوا ليلاً ونهاراً، فكثر القتل فيهم، وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً، ثم خرج قومص ـ كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله ـ فجال بين الصفوف وطلب البراز[2]، فبرز إليه جلالة بن زيري الصنهاجي، فحمل كل واحد منهما على صاحبه، فطعنه الفرنجي

(١) غنم: الفوز بالشيء من غير مشقة.

(٢) البراز: أي المبارزة في الحرب.

فمال عن الطعنة، وضربه بالسيف على عاتقه فأبان عاتقه، فسقط الفرنجي إلى الأرض، وحمل المسلمون على النصارى، فانهزموا إلى بلادهم، وقتل منهم ما لا يحصى، وملك المدينة وغنم - ابن أبي عامر - غنيمة لم ير مثلها، واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً، وأمر بالقتلى، فنضد بعضها على بعض، وأمر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب، وخرب مدينة قامونة، ورجع سالماً هو وعساكره/. ج٧/١٢٠/ط

ذكر وفاة يوسف بلكين وولاية ابنه المنصور

في هذه السنة لسبعٍ بقين من ذي الحجة، توفي يوسف بلكين بن زيري صاحب أفريقية بوارقلين، وسبب مضيه إليها: أن خزرون الزناتي دخل سجلماسة، وطرد عنها نائب يوسف بلكين، ونهب ما فيها من الأموال والعدد، وتغلب على فاس زيري بن عطية الزناتي، فرحل يوسف إليها، فاعتل في الطريق بقولنج، وقيل: خرج في يده بثرة، فمات منها، فأوصى بولاية ابنه المنصور، وكان المنصور بمدينة أشير، فجلس للعزاء بأبيه وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزونه بأبيه ويهنونه بالولاية، فأحسن إلى الناس وقال لهم: إن أبي يوسف وجدي زيري كانا يأخذان الناس بالسيف، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب يعني: أن الخليفة بمصر، لا يقدر على عزله بكتاب.

ثم سار إلى القيروان، وسكن برقادة، وولي الأعمال، واستعمل الأمراء، وأرسل هدية عظيمة إلى العزيز بالله بمصر قيل: كانت قيمتها ألف ألف دينار، ثم عاد إلى أشير، واستخلف على جباية الأموال بالقيروان والمهدية وجميع أفريقية إنساناً يقال له: عبد الله بن الكاتب[1].

ذكر أمر باذ الكردي خال بني مروان وملكه الموصل

في هذه السنة، قوي أمر باذ الكردي، واسمه: أبو عبد الله الحسين بن دوستك، وهو: من الأكراد الحميدية، وكان ابتداء أمره: أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيراً، وكان عظيم الخلقة له بأس وشدة، فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده، فلما رأى عضد الدولة خافه وقال: ما أظنه يبقي عليَّ، فهرب حين خرج من عنده، وطلبه عضد الدولة

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٦).

بعد خروجه ليقبض عليه، وقال: له بأس وشدة وفيه شر، ولا يجوز الإبقاء على مثله، فأخبر بهربه، فكف عن طلبه، وحصل بثغور ديار بكر، وأقام بها إلى أن استفحل أمره وقوي، وملك ميافارقين وكثيراً من ديار بكر بعد موت عضد الدولة، ووصل بعض أصحابه إلى نصيبين فاستولى عليها، فجهز صمصام الدولة إليه العساكر مع أبي/ سعد بهرام بن أردشير فواقعه، فانهزم بهرام وأسر جماعة من أصحابه، وقوي أمر باذ، فأرسل صمصام الدولة إليه أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب في عسكر كثير، فالتقوا بباجلايا على خابور الحسنية من بلد كواشى، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم سعد وأصحابه، واستولى باذ على كثير من الديلم، فقتل وأسر، ثم قتل الأسرى صبراً، وفي هذه الوقعة يقول أبو الحسين البشنوي: ج٧ ١٢١/ط

بِبَاجِلايا جَلَوْنَا عَنْهُ غَمْغَمَة ... وَنَحْنُ فِي الرَّوْعِ جَلَّاوُونَ لِلْكَرْب

يعني: باذاً وسنذكر سببه سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة إن شاء الله تعالى.

ولما هزم باذ الديلم وسعداً، وفعل بهم ما تقدم ذكره، سبقه سعد فدخل الموصل، وسار باذ في أثره، فثار العامة بسعد لسوء سيرة الديلم فيهم، فنجا منهم بنفسه، ودخل باذ إلى الموصل واستولى عليها، وقويت شوكته، وحدث نفسه بالتغلب على بغداد وإزالة الديلم عنها، وخرج من حد المتطرفين، وصار في عداد أصحاب الأطراف، فخافه صمصام الدولة، وأهمه أمره وشغله عن غيره، وجمع العساكر ليسيّرها إليه، فانقضت السنة.

وقد حدثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميدية ممن يعتني بأخبار باذ: أن باذاً كنيته: أبو شجاع، واسمه: باذ وأنّ أبا عبد الله الحسين بن دوستك، هو أخو باذ، وكان ابتداء أمره: أنه كان يرعى الغنم، وكان كريماً جواداً، وكان يذبح الغنم التي له ويطعم الناس، فظهر عنه اسم الجود، فاجتمع عليه الناس وصار يقطع الطريق، وكلما حصل له شيء أخرجه، فكثر جمعه وصار يغزو.

ثم إنه دخل أرمينية، فملك مدينة أرجيش ـ وهي أول مدينة ملكها ـ فقوي بها، وسار منها إلى ديار بكر، فملك مدينة آمد، ثم ملك مدينة ميافارقين وغيرها من ديار بكر، وسار إلى الموصل فملكها، كما ذكرناه[1].

(١) ذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ٢٣٩).

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة استعمل العزيز بالله الخليفة العلوي على دمشق وأعمالها بكجور التركي، مولى قرعويه ـ أحد غلمان سيف الدولة بن حمدان ـ وكان له حمص، فسار منها إلى دمشق، وظلم أهلها وعسفهم وأساء السيرة فيهم، وقد ذكرناه سنة اثنتين وسبعين مستقصى.

وفيها وزر أبو محمد علي بن العباس بن فسانجس لشرف الدولة.

وفيها، في ربيع الأول، انقض كوكب عظيم أضاءت له الدنيا، وسمع له مثل دوي الرعد الشديد.

وفيها غلت الأسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد، وعدمت الأقوات، فمات كثير من الناس جوعاً.

وفيها وزر أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان لصمصام الدولة.

وفيها ورد القرامطة إلى قريب بغداد، وطمعوا في موت عضد الدولة، فصولحوا على مال أخذوه وعادوا.

الوفيات

وفيها، في جمادى الآخرة، توفي سعيد بن سلام أبو عثمان المغربي بنيسابور ومولده بالقيروان، ودخل الشام، فصحب الشيوخ منهم أبو الخير الأقطع وغيره، وكان من أرباب الأحوال[1]/. ج٧/١٢٢/ط

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٤/ ٣٠١)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٦٤).